

القرآن . . . إعجاز مذهل

كتبه : قاري ميلر

ترجمه : عبد الماجد حسن فهمي

تقديم المترجم

بارك الله في ابنتي سحر

وبارك الله في زوجها مرتضى

لقد أهديتاني كتيباً صغيراً للكاتب الأمريكي

قاري ميلر Gary Miller - كتبه باللغة

الإنجليزية طبعاً. وقد حصلنا على هذا الكتيب

القيم أثناء رحلتهم مع أطفالهما إلى ماليزيا.

أطال الله لهما في عمرهما ، وحفظهما

وأطفالهما من كل شر ومن كل مصائب الدنيا

وزودهم جميعاً بالإيمان والتقوى ويسر لهم

طريق الهداية إلى الجنة إنه نعم المجيب.

ابنتي سحر عودتني دائماً أن تمدني بالكتيبات

وبما تضطلع عليه في الشبكة العنكبوتية Inter

net من معلومات قيمة مفيدة عن الإسلام

وكانت تشجعني على ترجمة بعض هذه الكتيبات

أو المطبوعات إيماناً منها أن الفائدة يجب أن تعم

كل المسلمين. يا لها من روح طيبة مباركة أدامها

الله عليها.

وأنا إذ أذكر ذلك على سبيل العرفان بالجميل

لا أستطيع شكرها مهما زينت الحروف ومهما

طوعت اليراع فإن ما تفعله لا يقتصر على هذا

فقط. فسحر درة قيمة ذات وجوه عدة لا أستطيع

حصنها فهي ترعى حق الأبوة كما ترعى حق

الأمومة وتكاد تكون هي أم أبيها في رعايته

وحسن صحبته. كم غمرتني بجميل جمائلها

وكم أدهشتني برقة حديثها معي وكم واستني

وكم .. وكم .. وكم ..

على أن كل ذلك لم يكن من باب البر بالوالدين

فقط ، كانت وما زالت العابدة التقية التي تخشى

الله ... تخشى الله في نفسها ... في زوجها ... في

ولدها ... في والديها ... في اخوتها ... في جميع

الناس.

لو أن رضاي يقدم أو يؤخر فإنني أهبه كله

وبكل الصدق لك يا سحر غير أنني أظل أدعو

لك برضى الله !

الكتيب الذي وافقتي به سحر هو أصل هذا

المترجم الذي بين أيديكم وفيه كثير من المعاني

والحقائق الإسلامية السامية وفيه كثير من

آيات الله المحكمات التي نزل بها القرآن الكريم

لكنه يبين عمق تصور الكاتب ودقة فهمه لهذه

الآيات.

حينما تقرأ الكتاب ، تظن أن الكاتب أزهري

وربما حسبته شيخاً من شيوخ الإسلام - وهذا

ما طاف بذهني - ذلك أن الكاتب يستشهد

بالقرآن وبالسنة من أحاديث الرسول صلى الله

عليه وسلم ثم يعرج على الراشدين من الخلفاء

والمحاضرات العامة التي تعرض الإسلام عقيدة وشرية.

كان من علماء النصرانية ولكنه اكتشف التناقضات في الكتاب المقدس قرأ القرآن متوقفاً أن يجد فيه من الأخطاء ما يساعده على نقده ومهاجمته. ذهل حينما اكتشف أن القرآن يعبر عن المفاهيم المسيحية الصحيحة الواردة في الإنجيل ويزيد ويتحدث عن مريم وعن المسيح ويحتوي على أشياء لا توجد في أي كتاب آخر في هذا العالم الحديث وعن قاري ميللر أوعيد الأحد عمريلذ ويطول ولذلك أترك لكم الاستمتاع بسحر أسلوبه ومنطقه فيما يكتب!

السؤال: من هو الكاتب؟

إن اسمه قاري ميللر Gary Miller

كندي الجنسية كان يعمل أستاذاً للرياضيات والمنطق في جامعة تورنتو بكندا.

كان مسيحياً مستثيراً - لا يتعصب لدينه كما كان يغلّب المنطق والحجة.

قبل حوالي ثلاثين (٢٠) عاماً ناظر الداعية الإسلامي الكبير الشيخ أحمد ديدات ممثلاً للمسيحية.

تمنى بعض الشباب المسلم لو أنه (قاري ميللر) كان مسلماً؛ وذلك لما تميز به من وضوح الرؤيا وعدم التعصب مع قوة المنطق. كما كانت حجته حاضرة.

في عام ١٩٧٨م أشهر الدكتور ميللر إسلامه وغير اسمه إلى عبد الأحد عمر.

عمل لسنوات في جامعة البترول والمعادن بالسعودية بعدها تفرغ تماماً للدعوة للإسلام وتقديم البرامج التلفزيونية والإذاعية

الإسلام يصلح لكل زمان ومكان :-

وصف القرآن بالدهش ليس من تصورات المسلمين فقط ، لأنهم يكونون تقديراً للكتاب ، وهم مسرورون به ؛ بل قد صنف القرآن بالدهش من غير المسلمين أيضاً. في الحقيقة حتى الذين يكرهون القرآن كرهاً شديداً فإنهم أيضاً يصفونه بالدهش.

من الأشياء التي تدهش غير المسلمين الذين يفحصون الكتاب بدقة وعن قرب ذلك أن القرآن لا يبدو لهم كما كانوا يتوقعون.

إنهم يتصورون أن القرآن كتاب قديم صدر في الصحراء العربية لأربعة عشر قرناً مضت ولذلك فهو يبدو لهم ككتاب قديم من قلب الصحراء ، وأنه يتحدث عن الصحراء.

حسناً ، فالقرآن بالتأكيد يتحدث عن الصحراء - بعض تعبيرات القرآن وصوره الجمالية تصف الصحراء ؛ ولكنها أيضاً تتحدث عن البحر -

، ظهرت نظرية شهيرة تعرف بالمشهد الذري ، تقول إن الكون مبني من ذرات صغيرة متناهية الصغر جاء بها الفيلسوف الإغريقي ديموكريتيس Democritus. وهو والذين جاءوا من بعده زعموا أن المادة تتكون من جسيمات غاية في الصغر لا تنقسم ولا يمكن تدميرها (لا تفنى) تسمى ذرات. العرب أنفسهم أيضاً كانوا يفكرون بنفس الأسلوب في الحقيقة ، الكلمة العربية ذرة كانت تعني أصغر جزيء يعرفه الإنسان.

أما الآن فالعلوم الحديثة قد أثبتت أن هذه الوحدة الأصغر من المادة (الذرة التي تملك كل خصائص العنصر نفسها) يمكن انشطارها إلى عناصرها الأساسية المكونة أو المركبة لها. هذه فكرة جديدة من نتاج القرن الأخير ، إلا أنه ، لمزيد من الاهتمام والتشويق ، فإن هذه المعلومة قد تم توثيقها في القرآن حيث يبين:-

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالَمٌ الْغَيْبِ لَا يُعْرَبُ عَنْهُ مُثْقَلُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) (١).

ليس من شك أنه ، منذ أربعة عشر قرناً مضت ، هذا البسط والعرض ربما بدأ غير طبيعى - حتى للعربي - فإن الذرة بالنسبة له كانت أصغر شيء في الوجود. وهذا أيضاً يؤكد أن القرآن ليس بعيداً عن دقائق الأمور العلمية.

القرآن والطب:-

مثال آخر لما يمكن أن يجده الإنسان في كتاب قديم يتلمس أو يطرق مسائل الصحة والعلاج هو أنواع الأدوية والعلاجات القديمة البائدة.

كيف تكون الزوايا الهوجاء في عرض البحر. منذ سنوات مضت ذاعت بيننا قصة - في تورنتو Toronto عن رجل كان يعمل في الأسطول التجاري البحري. وكان يعيش على البحر أحد المسلمين أعطى هذا الرجل نسخة من القرآن ليقرأها. هذا البحار لم يكن يعرف شيئاً عن تاريخ الإسلام ، ولكن كانت لديه رغبة جامحة في قراءة هذه النسخة المترجمة من القرآن. بعد القراءة أعاد الرجل البحار النسخة المترجمة من القرآن إلى صديقه المسلم ثم سأله: "محمد هذا .. هل كان بحاراً؟" لقد كان مأخوذاً بدقة القرآن في وصف العواصف والزوايا في البحر. حينما أخبره صاحبه: "كلا ... بل في الحقيقة كان محمد يعيش في الصحراء." كان ذلك كافياً له ... على الفور اعتنق الإسلام ! لقد هاله وصف القرآن ... إن الوصف (... في بحر لُجِّي يَفْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا) (١).

مثل هذا الوصف لا يكون من شخص يتخيل ما يجري في البحر من عواصف وكيف تصير وكيف تكون ... لابد أنه وصف من يعرف ماذا تكون الزوايا والعواصف في البحر!

هذا مثال يوضح أن القرآن ليس مرتبطاً بزمان ولا مكان معينين. وبالتأكيد فإن الآراء والأفكار العلمية التي عبر عنها القرآن لم تنشأ من الصحراء قبل أربعة عشر قرناً.

القرآن والذرة:-

لقرون مضت قبل ظهور الرسالة المحمدية

المعلومات الواردة فيه من أصل ونبع إلهي الله سبحانه وتعالى نزل القرآن بنفسه (ذاته العلية) إنه كلام الله ... القرآن كلمات الله التي وجدت قبل الخليفة ، ولذلك ينبغي ألا يضاف إليها شيء ، وألا ينقص منها شيء كما ينبغي ألا تعدل أو تغير. في الخلاصة ، وُجد القرآن وأكمل من قبل أن يخلق محمد صلى الله عليه وسلم ، ولهذا فإنه من غير الممكن أن يحتوي على كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ولا نصائحه أو إرشاداته. إضافة إلى معلومات قد تعارض بوضوح وجلاء الهدف الذي من أجله وُجد القرآن ، يعرض بالنص ويصمه بعدم الصدق كتزويل إلهي.

بالتالي فإننا لا نجد في القرآن ما يعرف بالألوية الشعبية Home remedies مما يمكن أن يصفه رجعي متأخر أو غير متطور ، ولا يحتوي القرآن أي وجهة نظر بشرية عما يفيد الصحة ، وأي الطعام يجب أن نأكل ، ولا ما يعالج هذا أو ذاك من الأمراض. في الحقيقة القرآن يذكر بنداً واحداً مرتبطاً بالمعالجات الطبية، وهو - هذا البند - ليس قابلاً للنقاش من أي طرف. إنه يقرر أن العسل فيه شفاء. وبالتأكيد ، اعتقد أنه لا يوجد أي شخص يجادل في ذلك أو ينكر هذه الحقيقة !.

القرآن الكريم تنزيل محكم :-

إذا اعتقد شخص أن القرآن من إنتاج العقل البشري ؛ فعليه إذن أن يتوقع انعكاسات ذلك العقل وما يدور فيه (أي العقل) على القرآن. حقيقة هناك بعض نواثر المعارف وكتب أخرى مختلفة تدعي أن القرآن عبارة عن هلوسة وهذيان

مصادر تاريخية متعددة تبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم أدلى بنصائح عن الصحة والنظافة - إلا أن كثيراً من هذه الإرشادات والنصائح لم تكن متضمنة في القرآن. للوهلة الأولى - ربما يبدو ذلك - لغير المسلم - نوعاً من الإهمال والخوف. إنهم لا يفقهون لماذا أن الله سبحانه وتعالى قد لا يُضمّن مثل هذه المعلومات القيمة في القرآن. بعض المسلمين يحاولون شرح هذا العتاب بالحجة التالية:- (بالرغم من أن نصائح الرسول صلى الله عليه وسلم وإرشاداته كانت سليمة وفعالة في ذلك الزمان - حيث عاش الرسول صلى الله عليه وسلم ، إلا أن الله سبحانه وتعالى ، بحكمته الأزلية ، علم أنه قد يأتي زمان يتطور فيه الطب والعلم بحيث تصبح نصائح الرسول صلى الله عليه وسلم غير مجزية "مقت الزمان.

وحيثما تحدث الاكتشافات ، ربما يقول الناس أن مثل تلك المعلومات عارضت قول الرسول صلى الله عليه وسلم. إذن بما أن الله سبحانه وتعالى لن يسمح بأي فرصة - لغير المسلمين ليجهروا بأن القرآن يعارض نفسه ويتضارب مع بعضه بعضاً - أو مع قول الرسول صلى الله عليه وسلم ، إنما يبين الله سبحانه وتعالى في القرآن المعلومات والنماذج التي تظل ثابتة مع الزمن.

على كل ، حينما يختبر الفرد صدق الحقائق القرآنية على بقائها ودقتها وفعاليتها كتزويل سماوي يصبح الأمر كله وبسرعة هائلة قد وضع في منظوره الصحيح ، والخطأ في مثل هذا الجدل يصبح واضحاً جلياً ومفهوماً يجب أن يكون مفهوماً أن القرآن تنزيل رباني - وأن كل

أنها قوية وصانقة وكافية لإثبات ما أريد توضيحه
- القرآن لا يذكر أيًا من هذه الأشياء - لا يذكر
موت أطفاله - ولا موت زوجته الحبيبة ورفيقة
دربه - ولا خوفه من أول وحي سماوي أساسي -
الذي شارك فيه زوجته برفق لا شيء بعد - هذه
الموضوعات ربما أدته - ربما أفلتته وسببت له
الحزن والألم العميق في كثير من أوقات حياته.
إذا كان القرآن من تأليف محمد صلى الله عليه
وسلم ، أو إنتاجه كان لابد - هي وكثير غيرها -
أن تسود وتكرر أو على الأقل تذكر دوماً.

القرآن والعلوم الحديثة :-

يمكن إتباع المنهج العلمي لدراسة وتحليل
القرآن وبخاصة لأن القرآن يعطينا بعض الأمور
التي لم تظهر في الكتب ولا في الديانات الأخرى
عموماً. هذه الأمور هي التي يطلبها العلماء. اليوم
كثير من الناس لديهم أفكار ونظريات مختلفة عن
كيف يدور (يعمل) الكون. هؤلاء الناس موجودون
في كل مكان ولكن العلماء لا يصفون إليهم ولا
يعطونهم مجرد التفاتة ، ذلك لأنه خلال القرن
الأخير طالبت الجماعات العلمية باختبار الدحض
أو الزيف. إنهم يقولون: "إن كانت لديك نظرية،
لا تعرضها (تشغلنا بها) علينا إلا إذا أحضرت
معها دليلاً يبرهن صحة أو خطأ ما نقول." مثل
هذا الاختبار هو ما فعله انشتاين حسبما طالبت به
الجماعات العلمية بداية القرن العشرين. لقد
جاء بنظرية حديثة وقال: "أعتقد أن الكون يعمل
هكذا ؛ وإليك ثلاثة طرق يمكن أن تبرهن إذا ما
كنت مخطئاً"

عندها أخضعت الجماعات العلمية نظريته

اجتاحت عقل محمد صلى الله عليه وسلم.
إن كانت هذه الإدعاءات محقة - إذ نشأت
نتيجة المشاكل النفسية التي سيطرت على عقل
محمد صلى الله عليه وسلم - لابد إذن أن ترد
الدلائل على ذلك واضحة في القرآن. هل توجد
مثل هذه الأدلة ؟

من أجل أن نثبت ذلك لابد من معرفة وتحديد
الأشياء التي كانت تدور في ذهن النبي صلى الله
عليه وسلم في ذلك الزمان ثم نبحت عنها - هذه
الأشياء - وعن أفكار محمد صلى الله عليه وسلم
وانعكاساتها في القرآن.

من المتفق عليه بداهة أن محمداً صلى الله
عليه وسلم عاش حياة صعبة وقاسية جداً. كل
بناته ماعدا واحدة قد متن في حياته وأمام
ناظره. كانت زوجته (الأولى) بل أحب زوجاته
إلى نفسه وأقربهن إليه مهمة غاية الأهمية في
حياته ؛ سبقته إلى الموت في مرحلة حرجة من
حياته. في حقيقة الأمر كانت امرأة عبقرية بحق
حينما تنزلت عليه أول آيات السماء فجري إليها
يرتعد من الخوف.

بالتأكيد ، وحتى يومنا هذا ، يلاقي الإنسان
صعوبات جمة في اكتشاف أو وجود عربي يخبره
... "لقد كنت خائفاً جداً ... لدرجة أنني أسرع
إلى زوجتي في المنزل." إنهم (العرب) ليسوا
كذلك لكن محمداً صلى الله عليه وسلم شعر
بالراحة والطمأنينة الكافية مع زوجته مما يمكنه
من قول ذلك وفعله. هكذا كانت زوجته قوية
ومؤثرة كامرأة (أنثى).

بالرغم من أن هذه الأمثلة قليلة جداً بين ما كان
يدور في ذهن المصطفى صلى الله عليه وسلم إلا

مصادقته بنصح في المطالبة بإثبات الخطأ كما في الآية التالية:-

(أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) ^(٧).

من سورة النساء. بأمانة تامة - كم كنت مشدوها حينما اكتشفت ذلك التحدي.

هذا تحد واضح صريح لغير المسلم. تحد يدعوه أساساً ليكتشف خطأ ما في هذا القرآن. في الحقيقة إذا تركنا جدية وصرامة وصعوبة هذا التحدي جانباً فإن حقيقة عرضه في المقام الأول ليست من طبيعة البشر ولا تتجانس أو تتناسق مع شخصية الفرد. الفرد لا يجلس لامتحان أو اختبار في مدرسة ما ، وبعد أداء هذا الاختبار يكتب مذكرة لمن يختبره يقول في نهايتها "هذا الاختبار مثالي في وضعه، لا يشتمل على أي خطأ ، حدد فيه خطأ واحداً إن استطعت". الإنسان لا يمكن أن يفعل ذلك. المعلم قد لا ينام حتى يجد خطأ إلا أن هذه الطريقة هي التي ينتهجها القرآن مع البشر.

النصح والإرشاد في القرآن :-

سلوك آخر يتكرر في القرآن مراراً بتناوله النصح والإرشاد للقارئ. القرآن يخبر القارئ عن حقائق مختلفة ، ثم بعد ذلك يزوده بالنصح: "لو كنت تريد مزيداً من المعرفة عن هذا أو ذاك : إن كنت مرتاباً تشك فيما قد قيل ، فاسأل أهل العلم والذكر." هذا أيضاً سلوك مدهش ، ليس من الطبع أن تجد كتاباً لأحد الناس دون تدريب في الجغرافيا - أو علم النبات - أو علم الحيوان أو العلوم الإنسانية يناقش هذه المواد ثم ينصح

للاختبارات وخلال ست سنوات أجازت ثلاثتها ، بالتأكيد لا يبرهن ذلك أنه كان عظيماً ، وإنما يبرهن أنه استحق الاستماع إليه لأنه قال: "هذه هي فكرتي .. ولو كنتم تريدون إثبات أخطائي افعلوا هذا ... أو حاولوا ذاك".

هذا هو بالضبط نفس الذي فعله القرآن: اختبارات الدحض أو الزيف. البعض كان قديماً - بمعنى انه كان قد ثبت صدقه ؛ والبعض الآخر مازال حياً باقياً حتى يومنا هذا ، إنه يصرح ويعلق أساساً "إذا كان هذا الكتاب ليس كما يعلن ويشير ، فعليك أن تفعل هذا أو هذا لتبرهن أخطاءه وزيفه". بالطبع ومن المؤكد خلال ١٤٠٠ سنة لم يستطع أحد أن يفعل هذا أو هذا ، وعليه فهو مازال يعتبر محققاً وصادقاً.

اقترح عليك - إن خضت حواراً . - أحد المسلمين أو جادلته حول الإسلام وأكد لك انه يملك الحقيقة وأنتك تتخبط في ظلام ، أن تترك كل الجدل والمناقشات أولاً. سلّه: "هل يوجد اختبار صدق أو دحض أو زيف في ديانتك ؟ هل يوجد في دينك أي شيء يبرهن أنك مخطئ إذا استطعت أنا إثبات وجود الخطأ - أي شيء؟". حسناً استطيع أن أعدك فوراً أن الناس لا يملكون شيئاً من هذا - لا اختبار - لا برهان - لا شيء البتة !

هذا لأنهم لا يحملون فكرة يؤمنون بها يروجونها على غيرهم ومن حولهم فقط ؛ بل يدعون الفرصة للآخرين أن يثبتوا أخطاءهم على كل الإسلام يفعل هذا.

الدليل الصادق على أن الإسلام يزود ويمد الإنسان بالفرصة ليثبت ويبرهن ويؤكد

هذا العالم الخبير إلى الرياض وقالوا له: "هذا ما قاله القرآن في موضوع دراساتك. أهو حقيقة أم ماذا تخبرنا عنه؟".

بينما كان موجوداً في الرياض زوده بكل المساعدات التي كان يحتاجها في الترجمة وكل العون البذي طلبه منهم. لقد هال هذا العالم وأدهشه أشد الدهشة ما وجده حتى أنه عدل كتبه في علم الأجنة وغيرها وفقاً لما وجده من المعلومات الجديدة. حقيقة في الطبعة الثانية من كتابه "قبل أن نولد" Before we are born في باب تاريخ علم الأجنة مسجلة في الطبعة الأولى بسبب ما وجده في القرآن. الحق فالقرآن قد كان سابقاً لزمانه كما تبين من هذه المعلومات كما أن الذين يؤمنون به ويعتقدون فيه يعلمون أكثر مما يعلمه الآخرون.

كان لي عظيم الشرف إذ التقيت الدكتور كيث مور وقدمته في لقاء تلفزيوني وناقشت معه هذه المسألة بصورة أشمل وأوضح. واشتمل الشرح على شرائح تشرح وتوضح الفكرة تماماً. لقد ذكر الدكتور كيث مور أن الأشياء والمعلومات التي ذكرها القرآن فيما يختص بنمو الجنين البشري لم تكن معروفة لدى العلماء حتى قبيل ثلاثين عاماً. ثم أضاف أنه في الحقيقة أن أمراً واحداً - على الأخص - وصف القرآن للإنسان كعلقة طفيل في مرحلة من المراحل كان جديداً بالنسبة له؛ ولكنه حين فحص العلاقة اكتشف أن وصف القرآن وتصويره لها كان حقيقياً وصادقاً ولذلك أضاف الدكتور مور هذه المعلومة إلى كتابه قال - في الكتاب - "لم أفكر في ذلك قبل تلك اللحظة" ثم ذهب إلى شعبة علم الأحياء وطلب

القارئ ليسأل ويستفسر من أهل العلم والمعرفة إذا شك في شيء أو اختلط عليه شيء. بالتالي فإنه يوجد في كل عصر من العصور مسلمون اتبعوا هذه النصيحة والتوجيهات القرآنية فحققوا بها اكتشافات عظيمة مدهشة ، إذا نظرنا إلى أعمال العلماء المسلمين لقرون مضت نجدها مليئة بالنصوص القرآنية. هذه الأعمال تؤكد أنهم قاموا بالبحوث مكان كذا ومكان كذا منقبين عن شيء ما أو باحثين عنه ، ويؤكدون أن سبب بحثهم وتنقيبهم في مكان كذا أو مكان كذا أن القرآن قد حدد لهم ذلك المكان ودلهم وأرشدهم عليه.

على سبيل المثال فإن القرآن يذكر أصل الإنسان ثم يرشد القارئ - "أبحث فيه ... نقب عنه" إنه يعطي القارئ إشارة أو تلميحاً إلى مكان البحث عنه ثم يطالبه بأن يجد المزيد عنه.

هذا هو نفس الشيء الذي يبدو أن المسلمين قد أغفلوه في الوقت الحاضر - ولكن ليس دائماً - كما يبين المثال التالي. منذ سنوات قليلة ماضية ، مجموعة رجال في مدينة الرياض بالملكة العربية السعودية جمعوا كل آيات القرآن التي تتأقش علم الأجنة - نمو الجنين البشري في بطن أو رحم أمه وقالوا: هذا ما قاله القرآن. أهو حقيقة ؟ كخلاصة فقد اتبعوا ما قاله القرآن من نصح وإرشاد "اسألوا أهل العلم". اختاروا كما يبدو عالماً ضالماً في علم الأجنة يعمل محاضراً بل أستاذاً لعلم الأجنة في جامعة تورنتو Toronto ولكنه غير مسلم ، هذا العالم يدعى كيث مور Keith Moore وهو قد ألف مراجع وكتباً في علم الأجنة - هو خبير عالمي في هذا الموضوع. دعا

لأي شخص من اقتناء مجهر لرؤيتها نسبة لتناهي صغرها وبقة حجمها. ولما كان المجهر لم يعرف إلا قبل أكثر بقليل من مائتي سنة ، استكر الدكتور مور: (ربما قبل أربعة عشر قرناً كان لأحدهم مجهرًا خفيًا وعندما أجرى هذا البحث دون ارتكاب أي خطأ ، خبأ المجهر في مكان ما بعدها أخبر محمداً بطريقة ما وأقنعه أن يسجل هذه المعلومات في كتابه (القرآن). بعد ذلك دمر هذا الجهاز واحتفظ بالسِر إلى الأبد. هل تصدق ذلك؟ بالتأكيد يجب ألا نصدق ذلك حتى تأتينا بدليل أو برهان لأن ذلك نظرية سخيفة مضحكة.) وعندما سئل: "كيف تفسر هذه المعلومات في القرآن؟" كانت إجابة الدكتور مور: "إنها ربما كانت تنزيل من الله".

القرآن وعلم الجيولوجيا :-

كان أحد زملاء الدكتور كيث مور ، ويدعى مارشال جونسون يدرس ويبحث في علم الجيولوجيا بجامعة تورونتو ، وقد أثار اهتمامه بشدة ثبوت صحة ما جاء به القرآن في علم الأجنة. هذا الدكتور - جونسون - طلب من بعض المسلمين أن يوافوه بكل ما قاله القرآن في مجال تخصصه. للمرة الثانية ذهل الناس مما وجدوا في القرآن. لما كانت هناك مجموعة كبيرة من المواد العلمية ناقشها القرآن ؛ لابد أن نحتاج كثيراً من الوقت لاستقصاء كل مادة أو علم على حده. يكفي لمناقشة ما أقره القرآن بدقة ووضوح وفي إشارات دقيقة حول مواد كثيرة بينما يحض القارئ مع ذلك أن يثبت عن طريق البحث صحة وصدق هذه الإشارات والتصريحات في تلك

صورة لتفصيل ، وحينما وجد أنها تشبه تماماً شكل وصورة الجنين البشري في بطن أمه ، حينها قرر إضافة وتضمين الصورتين في أحد كتبه الدراسية.

الدكتور مور ألف كتاباً في علم الأجنة التحليلي أو السريري ، وعندما أبرز هذه المعلومة في تورونتو أثارَت ضجة عنيفة وزوبعة هوجاء في كل ربوع كندا. ظهر ذلك على الصفحات الأولى من بعض الصحف عبر كندا. وبعض العناوين العريضة كانت غريبة ومضحكة - على سبيل المثال كان أحد المنشيات يقول: "شيء مدهش يوجد في كتاب قديم للصلاة ("بيدو بدهياً من هذا المثال أن الناس لم يكونوا يدركون ولا يفهمون ماذا يعني الأمر برمته. في الحقيقة، سأل أحد المراسلين الصحفيين دكتور مور: "ألا تعتقد أن العرب كانوا قد عرفوا وعلموا هذه الأشياء - وصف الجنين - ظهور الجنين وكيف يتغير وينمو ؟ ربما لم يكونوا علماء ، ولكن ربما أجروا بعض التشريح الأولي غير الناضج بأيديهم - ربما نحتوا أو شكلوا بعض النماذج البشرية ثم اختبروا هذه الأشياء." ولكن الدكتور مور أشار لتوه على ذلك الصحفي أنه ربما فاتته نقطة هامة وهي أن كل الشرائع للتفصيل أو الجنين التي بينها والتي صورت في الفيلم جاءت عبر صور مجهرية ثم أردف قائلاً: إن الأمر لا يعني شيئاً إذا حاول أحد الناس اكتشاف علم الأجنة منذ أربعة عشر قرناً مضت. ولكن كان من المستحيل رؤيتها في ذلك الزمان".

كل الأوصاف عن ظهور الجنين في القرآن كانت تستحيل رؤيتها بالعين المجردة ، إذن فلابد

يستطيعوا البتة تحدي مصداقيته لأنه كان جديداً حقيقياً !

طبقاً لما جاء في القرآن من نصيحة للبحث عن الحقيقة - حتى لو كانت جديدة (حديثه) ، حينما صار عمر^(٤) خليفة اختار مجموعة من الرجال وأرسلهم للبحث عن جدار ذي القرنين. قبل نزول القرآن لم يسمع العرب قط بهذا الحائط ؛ ولكن لأن القرآن قد ذكره ووصفه كانوا جديرين باكتشافه. إنه في الحقيقة يقع فيما يسمى ديوربند في الاتحاد السوفيتي.

يجب أن نؤكد هنا أن القرآن دقيق جداً في أمور كثيرة جداً أيضاً. ولكن الدقة لا تعني أنه كتاب قدسي منزل من عند الله. إنما الدقة في الأصل تشكل واحدة من سمات التنزيلات الربانية. على سبيل المثال فإن دليل التلفزيون دقيق ولكن لا يعني هذا أنه منزل من السماء. المشكلة الأساسية تكون في أن الإنسان يجب أن يجد برهاناً على مصدر المعلومات في القرآن. التأكيد من الجانب الآخر أن عبء البراهين يقع على القارئ ، لا يستطيع أحد أن ينكر صدق القرآن دون دليل قاطع وكاف. إذا وجد إنسان خطأ في القرآن ، إذن فقد حق له تجريده من المصادقية وإثبات عدم أهليته لها وهذا بالضبط ما يشجعه القرآن ويحث عليه. في يوم جاءني رجل بعد محاضرة ألقيتها في جنوب أفريقيا كان غاضباً جداً على ما قلته وبالتالي فقد صرح: (سأذهب إلى بيتي هذا المساء وأجد خطأ في القرآن). بالطبع أجبت: (أهنتك ذلك أذكى شيء قلته). بالتأكيد هذا هو المنهج الذي يجب أن يتبعه المسلمون ويحتاجونه مع أولئك الذين يشككون في مصداقية القرآن لأن القرآن

المواد. وكما هو واضح في حال علم الأجنة وعلم الجيولوجيا فقد ثبت بجلاء ووضوح وصحة صدق ما جاء به القرآن.

توجد في القرآن ظاهرة مؤكدة لا توجد في غيره من الكتب ولا توجد في أي مكان آخر. إنه من دواعي العجب كيف أن القرآن حينما يزود البشر بمعلومة فإنه يخبر القارئ ، بل يؤكد له أنه "لم يكن ليعلم ذلك من قبل هذا" لا يوجد أي كتاب مقدس أو غير مقدس على سطح البسيطة يصرح بهذا أو يعلنه. كل الكتابات القديمة الأخرى وكل الكتب المقدسة السابقة للقرآن كانت تعطي كثيراً من المعلومات لكنها دائماً تشير إلى مصادر هذه المعلومات. على سبيل المثال حينما يناقش الإنجيل التاريخ القديم فإنه يصرح أن هذا الملك عاش هنا ، هذا الملك قاد موقعة ما ، ملك آخر كان له عدد كبير من الأبناء ... الخ. لكنها دائماً تشترط: إن كنت تريد مزيداً من المعلومات يجب أن تقرأ كتاب كذا أو كذا لأن هذا هو المصدر الذي منه صدرت المعلومة. على عكس هذا المفهوم فإن القرآن يزود القارئ بالمعلومة ثم يقرر أن هذه المعلومة خبر أو شيء جديد وبالطبع تبقى دوماً النصيحة للبحث المعلومة المعطاة وإثبات مصداقيتها. ومن العجب أن هذا المفهوم لم يثر محمداً أو الاستجابة له من أي كافر أو غير مسلم على مدى القرون الأربعة عشر الماضية. بالتأكيد قد كره المكيون المسلمين. وعلى مر الزمن وتكرار العصور قد سمع المكيون هذا التنزيل معلناً وصول وكشف معلومات جديدة ، لكنهم سكتوا عن الكلام وعن التصريح بأن ذلك ليس جديداً. إننا نعلم من أين جاء محمد بهذه المعلومات - لقد تعلمنا هذا في المدارس. لم

ويتخلص منه وما الثمين للاحتفاظ به والاستفادة منه في الحال أو فيما بعد - حتى في تاريخ مؤجل. إنه لا يستطيع أن يدعه أو يتركه جميعاً يجلس في رأسه. يجب وضعه في المجموعة الأصح والأسلم ويتناول من تلك النقطة أو يطرقه منها، مثلاً - إذا المعرفة أو المعلومة في طور التفكير والتأمل، يجب على الفرد أن يتبين إذا كانت كل الحقائق معروضة فيجب عليه إذن أن يقرر على نحو جازم بين هذين الخيارين. وحتى إذا كان الإنسان غير إيجابي حول مصداقية المعلومة، فهو مازال مطالباً بتقليب الأمر ومعالجته كلياً ثم يعترف أنه لا يعلم أو يعرف بالتأكد، وبالرغم من أن هذه النقطة الأخيرة تبدو وكأنها لا طائل منها في الحقيقة فهي مفيدة للوصول إلى نتيجة إيجابية في وقت متأخر لأنها تجبر الإنسان أن يعرف، يبحث ويعيد النظر في الحقائق. هذا التعود والتناغم مع الحقيقة سيمطي الإنسان "الحافة" عندما تحصل الاكتشافات المستقبلية وتعرض المعلومات الإضافية الأمر المهم أن الفرد يتعامل مع الحقائق لا مجرد أن يرميها في دائرة عدم الاهتمام أو التفحص العاطفي.

القرآن صادق ومحقق في كل ما جاء

به :-

إن الحقيقة الأكيدة عن صدق القرآن تكمن في الثقة السائدة المنتشرة خلال آياته كلها ؛ وهذه الثقة تتأتى عبر منهج مختلف هو "دحض أو استنزاف البدائل وكشفها". القرآن يؤصل أن هذا كتاب رباني منزل من عند الله سبحانه وتعالى ؛ إن كنتم لا تصدقون ذلك ، فما هو إذن

نفسه يطرح نفس التحدي. ومن المؤكد بعد قبول تحديه ، واكتشاف أنه حق سيصدق هؤلاء الناس ويؤمنون به لأنهم عجزوا عن إثبات كذبه وعدم أهليته. في الخلاصة القرآن يكسب احترامهم لأنهم أنفسهم أثبتوا وبرهنوا مصداقيته حقيقة جوهرية أساسية لا يجب تكرارها يوماً فيما يختص بمصداقية القرآن وهي عدم مقدرة الفرد توضيح ظاهرة بنفسه لا يتطلب قبوله وجود هذه الظاهرة أو تفسير إنسان آخر لها. خاصة إذا لم يستطع الفرد إيضاح شيء لا يعني ذلك أنه يجب أن يتقبل وجودها أو توضيح إنسان آخر لها. بالتحديد لأن الإنسان لا يستطيع شرح شيء ما لا يعني ذلك أن يتقبل شرح إنسان آخر. على كل فإن رفض الإنسان للشروح الأخرى يعيد مسئوليته تحمل البرهان إلى نفسه ليجد إجابة عملية معقولة. هذه النظرية العامة تتطابق مع مفاهيم متعددة في هذه الحياة ولكنها تتسجم بروعة مع التحدي القرآني لأنه يوجد صعوبة لمن يدعي أو يقول "أنا لا أصدقه .. لا اعتقد فيه" عند بداية أو مستهل الرفض يصبح الإنسان مضطراً لإيجاد توضيح بنفسه إذا كان يشعر أن توضيح الآخرين غير ملائم. في آية قرآنية معينة أجدها دائماً وقد ترجمت خطأ للإنجليزية ، يذكر الله سبحانه وتعالى رجلاً سمع الحقيقة وقد شرحت له ، تفيد أنه كان مقصراً ومهملاً في أداء واجبه ، لأنه بعد سماع الحقيقة ، غادر دون أن يختبر صدق ما قد سمع. في كلمات أخرى يكون الإنسان مخطئاً إذا سمع شيئاً ولم يبحث أو يتأكد من صدقه مختبراً إياه أحق هو أم لا. المفترض في الإنسان أن يعالج المعلومات ويناقشها ثم يقرر ما هو الغناء ليرمي

كأمر واقع حقيقة ، فإن كثيراً من آيات القرآن نزلت مجيبة على التساؤلات. أحد الناس يسأل محمداً صلى الله عليه وسلم سؤالاً ... وتأتي الآيات منزلة بالإجابة على هذا السؤال. بالتأكيد إن كان أحد مجنوناً - ويعتقد أن ملاكاً يملئ عليه الإجابة - في أذنه - إذن حينما يسأله أحد سؤالاً ، فإنه يعتقد أن الملاك سيأتيه بالإجابة. بالتأكيد فإنه إن كان يعتقد ذلك نسبة لجنونه فإنه يخبر السائل أن ينتظر قليلاً ثم يسرع إلى أصدقائه ليسألهم ... "هل من أحد يعرف الإجابة؟". هذا النوع من السلوك يليق بإنسان لا يؤمن بأنه رسول أو نبي. إنما يرفض أن يقبله الكفرة المنكرون ذلك أنه يستحيل قبول الاثنين معاً. الإنسان إما أن يكون مجنوناً أو أن يكون كاذباً ... لكنه بالتأكيد لن يكون الاثنين معاً ! التأكيد يجب أن يكون في الحقيقة على السمات الشخصية المتبادلة والمشاركة في الإنسان.

السيناريو التالي يعطينا مثلاً حياً لنوعية الحلقة المفرغة التي يدور حولها غير المسلمين باستمرار. حينما نسأل أحدهم "ما هو مصدر القرآن؟" يخبرك إنه قد أنشأه خيال رجل مجنون. ثم تسأله "إن كان من خيال رجل مجنون - إذن من أين حصل على المعلومات التي وردت في القرآن؟ من المؤكد أن القرآن قد ذكر أشياء كثيرة لم يعرفها العرب" عندها كي يوضح الحقائق التي تعرضها عليه ، يغير موقعه ويقول: "حسناً ... ربما لم يكن مجنوناً - ربما أحد غريب وافيء بالمعلومات ... وهكذا أخذ يكذب ويقول أنه كان نبياً أو رسولاً." هنا - عند هذه النقطة يمكن أن نسأله: "إذا كان محمداً كاذباً ، من أين

حسبما ترون؟ في كلمات أخرى يتحدى المنكرين أن يأتوا بتفسير آخر ... بإجابة أخرى عن طبيعة القرآن وأصله شريطة أن يكون تفسيرهم مقنعاً وعملياً وصادقاً. في الحقيقة كل البدائل قد استهلكت ، كما قد أثبت تأكيد غير المسلمين هذه البدائل قد تركزت في مدرستين محصورتين من المدارس الفكرية أو الفلسفية ، ولكنهما مع الأسف متبادلتين ومتعاونتين. كانوا يصرون على هذه أو تلك. في جانب كانت توجد مجموعة كبيرة من الناس بحثت القرآن لمئات السنين وكانت تدعي "شيء" واحد نحن متأكدون من معرفته هو: أن ذلك الرجل ... محمد اعتقد أنه نبي مرسل من الله... إنه مجنون ! كانوا مقتنعين أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان قد خُذع بطريقة ما. ثم في الجانب الآخر - كانت هناك مجموعة أخرى كانت تدعي وتزعم "بناء على هذه الدلائل القاطعة ، فإن شيئاً واحداً نعرفه بالتأكيد هو أن ذلك الرجل ... محمد كان كاذباً" ومن السخرية العجيبة أن هاتين المجموعتين ما اجتمعتا إلا وتناقضتا. حقيقة فإن مراجع كثيرة عن الإسلام عادة أشارت إلى هاتين المجموعتين. بيدأون بأن محمد كان مجنوناً وينتهون إلى أنه كان كاذباً إنهم فشلوا في الوصول إلى أنه من المستحيل أن يكون كليهما ! على سبيل المثال ، إذا كان قد خُذع وظن أو اعتقد أنه كان رسولاً فإنه لم لا يجلس طوال الليل يفكر ... "كيف أخدع الناس غداً حتى يظنوا أنني رسول؟" بل كان يؤمن بحق أنه رسول ونبي ، وكان يثق أن الإجابة ستأتيه من الله سبحانه وتعالى عن طريق الوحي ... تنزل من عند الله.

إذن حصل على الثقة ؟ لماذا كان يتصرف كأنه كان رسولاً حقيقياً ؟" أخيراً حينما يجد نفسه قد حوَّصر في ركن ضيق كأنه قط ... فإنه يجأر ناطقاً بأول إجابة تطلُّرأ على ذهنه ناسياً أنه قد استهلك ذلك الاحتمال ثم يدَّعي : "حسناً ربما لم يكن كذاباً. من المحتمل أنه كان مجنوناً وأنه تخيل أنه كان نبياً رسولاً." هنا تظهر - كما يبدو - الحلقة المفرقة مرة أخرى.

مصدر المعلومات الواردة في القرآن هو الله سبحانه وتعالى :-

كما قد ذكرنا سابقاً ، هناك معلومات كثيرة وأخبار مذكورة في القرآن يستحيل أن تنسب الى مصدر غير الله سبحانه وتعالى وحده. على سبيل المثال: من أخبر محمداً عن حادث ذي القرنين فكان على بعد مئات الأميال الى الشمال ؟ من أخبره عن علم الأجنة ؟ عندما يجمع الناس معلومات كهذه - اذا لم يكونوا راغبين في نسبة وجودها الى مصدر إلهي رباني ؛ فإنهم يرجعونها الى الافتراض أن محمداً صلى الله عليه وسلم تلقاها من انسان آخر وأنه استخدمها ليخدع الناس ، على كل فهذه النظرية يمكن فضحها ودحضها بسهولة ويسر عن طريق سؤال واحد بسيط: "اذا كان محمد صلى الله عليه وسلم كذاباً فمن أين حصل على ثقته ؟ لم كان يخبر الناس للتو مباشرة أمام وجوههم ما لن يستطعمه (أن يقوله) آخرون ؟" مثل هذه الثقة تعتمد أساساً على كون الإنسان مقتنعاً أنه يحصل عن طريق وحي رباني حقيقي وصادق. على سبيل المثال فإن محمداً صلى الله عليه وسلم كان له

عم يدعى أبو لهب. هذا الرجل - أبو لهب - كان يكره الإسلام والمسلمين إلى الحد الذي أفضى به أن اعتاد على تتبع الرسول صلى الله عليه وسلم هنا وهناك كي يسيء إليه ويكذبه ويشوه سمعته. اذا رأى الرسول صلى الله عليه وسلم يتحدث إلى رجل غريب أو رجال غرباء كان ينتظر متى ينفضوا من حول الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم يذهب إليهم ويسألهم: ماذا أخبركم ... ماذا قال لكم ؟ هل قال "أسود ؟" حسناً إنه أبيض. هل قال "الصبح" ؟ بل هو "المساء" كان يقول بالضبط عكس ما يسمعه عن محمد صلى الله عليه وسلم وعن قول المسلمين. ومع ذلك وحوالي عشر سنوات قبل أن يموت أبو لهب تنزلت سورة قصيرة في القرآن عن هذا الرجل هي سورة المسد: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ- مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ- سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ- وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ- فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾-(٥).

هذه السورة القصيرة وضحت وبيّنت بجلاء أن أبا لهب سيدخل نار جهنم. بطريقة أخرى قد أكدت هذه السورة القصيرة أن أبا لهب لن يسلم - لن يصبح مسلماً إلى الأبد وحكمت عليه وأدانتة إلى يوم القيامة. على مدى عشر سنوات كان من الممكن أن يكذب أبو لهب هذه السورة ... كان من الممكن أن يقول: لقد سمعت انه قد أُوحي إلى محمد أنني لن أتغير .. أنني لن أصبح مسلماً ، بل سأدخل نار جهنم. أنا أريد أن أصبح مسلماً الآن كيف ترون ذلك ؟ ماذا تقولون ؟ ماذا تفكرون عن وحكم الرباني الآن ... ؟" لكنه لم يفعل ذلك قط. وعليه فإن ذلك هو بالضبط هو نوعية السلوك الذي كان يتوقعه منه الناس

الله عليه وسلم في مثل هذه الظروف أن يقول: "يا أبا بكر ابحث علنا نجد مخرجاً خلفياً من هذا الكهف". أو يقول: "لنجلس القرفصاء في ذلك الركن ونبقى صامتين" ولكن في الحقيقة ما قاله لأبي بكر يصور ويوضح ويثبت ثقته. لقد قال له: "لا تخف ... إن الله معنا إن الله سينقذنا!" إذا كان الإنسان يعرف أنه كان يخادع الناس ... من أين يحصل على مثل ذلك النوع من السلوك أو التصرف ؟ حقاً فإن مثل هذا الإطار الفعلي ليس من مسحة كاذب مخادع البتة.

إذن كما ذكرنا سابقاً ، فإن غير المسلمين يدورون حول حلقة ودائرة مفرقة بحثاً عن مخرج - طريقة ما لشرح ما وجد في القرآن دون أن ينسبوها لأصلها الحق - خالقها وموجدتها. من جهة يخبرونك في يوم الاثنين ، الأربعاء والجمعة: "الرجل كان كاذباً". ومن جهة أخرى يوم الثلاثاء ، الخميس والأحد يخبرونك: "كان مجنوناً" والذين يرفضون قبوله هو أنه يستحيل أن يكون الإثنين معاً ومع ذلك فإنهم يحتاجون للنظرتين معاً: كلا العذرين يشرح المعلومات التي نزل بها القرآن.

منذ حوالي سبع سنوات مضت ، فاجأني وزير بزيارة في داري في الغرفة المحددة التي جلسنا فيها كان على إحدى الطاولات مصحف ، واجهته إلى أسفل ، ولذلك لم يعرفه الوزير اهتماماً أو يعرف أي كتاب هو. أثناء النقاش أشرت إلى المصحف وقلت له: "أنا أثق في ذلك الكتاب" ، ناظراً إلى المصحف دون أن يتبين أي كتاب هو أجابني "حسناً أقول لك: إذا لم يكن ذلك الكتاب هو الإنجيل ، فإنه قد ألفه (كتبه) رجل". رداً

طالما أنه كان يفكر ويبحث ويعمل على معارضة الإسلام. في النهاية أشار عليه محمد صلى الله عليه وسلم: "إنك تكرهني ... وتريد نهايتي ؟ تعال أعلن هذه الكلمات ، وسوف أنتهي... تعال ... أفعل ... أعلن وقل" ولكن أبا لهب لم يجرؤ على قولها أو التصريح بها .. عشر سنوات ... وطيلة ذلك الوقت لم يقبل الإسلام أو يتعاطف مع الشأن الإسلامي كيف استطاع محمد صلى الله عليه وسلم التمكن من معرفة أن أبا لهب سيطبق ويمتثل للوحي القرآني إذا لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم مرسل حقيقة من الله سبحانه وتعالى ؟ كيف كان واقعاً لدرجة أن يعطي أبا لهب عشر سنوات ليشين ويفضح ويكذب نبوته ورسائله ؟ الإجابة الوحيدة أنه كان رسول الله ، لأنه شريطة أن يفصح عن هذا التحدي الخطر لابد ولا محالة أن يكون مقتنعاً أنه لديه وحي منزل من الله سبحانه وتعالى.

الله سبحانه وتعالى يحمي رسوله ودينه :-

مثال آخر للثقة التي كان محمد صلى الله عليه وسلم يتصف بها نحو رسالته ونحو الحماية الربانية لشخصه ولدعوته تتجلى حينما غادر مكة ومعه أبوبكر حيث اختبأ في كهف أثناء هجرته إلى المدينة المنورة. كلاهما - الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه أبوبكر - شاهداً أناساً مقبلين عليهما ليقتلاهما كان أبوبكر خائفاً. إذا كان محمد صلى الله عليه وسلم كاذباً أو كان مزيفاً أو مدعياً بحق ، أو كان شخصياً قد حاول خدعة الناس ليظنوا أنه نبي أو رسول كان الفرد يتوقع من محمد صلى

محمد صلى الله عليه وسلم. إنهم اعتادوا القول: "الشیطان یملی محمدًا هذا القرآن!" ولكن كما في عرض أي اقتراح آخر، فإن القرآن يعطينا الإجابة، آية معينة تقول:

(وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) ^(١).

هكذا تعطي الآية الكريمة جدلية - مناقشة للإجابة على مثل هذه النظرية في الحقيقة توجد حوارات ومجادلات كثيرة في القرآن إجابة على اقتراح أن الشياطين تملي على محمد رسالته - القرآن، على سبيل المثال يؤكد المولى عز وجل:

(وَمَا تَنزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَرُوُونَ) ^(٢).

وفي موضع آخر من القرآن الكريم فإن الله سبحانه وتعالى يأمرنا:

(فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) ^(٣).

الآن هل هذا هو ما يدعون من أن الشيطان يكتب القرآن؟ هل يقول للناس: (قبل أن تقرأ كتابي، اسأل الله ان ينقذك مني؟) هذا محير وخادع جداً، حقاً ربما يستطيع رجل أن يكتب كلاماً مثل هذا، ولكن هل يمكن أن يفعل الشيطان هذا؟ كثير من الناس يبينون بوضوح أنهم لا يستطيعون الوصول إلى نتيجة في هذا الموضوع. من جانب فإنهم يوضحون أن الشيطان لا يفعل شيئاً مثل هذا وإن استطاع فإن الله سبحانه وتعالى لن يسمح له بهذا - ومن جانب آخر فإنهم يؤمنون أيضاً أن الشيطان أضعف إلى أبعد قدر من الله سبحانه وتعالى. في النهاية فإنهم

على هذا التعليق قلت له: "دعني أخبرك شيئاً عن ذلك الكتاب وما جاء فيه." وفي ثلاث أو أربع دقائق فقط نقلت له بعض أشياء قليلة وردت في القرآن - بعد هذه الدقائق الثلاث أو الأربع غير الرجل موقفه وصاح قائلاً: "أنت محق. هذا الكتاب لم يخطه رجل بل كتبه الشيطان." في الحقيقة فإن تبني مثل هذا السلوك غير محظوظ.. غير موفق قط لأسباب كثيرة. من جانب فإنه عذر متسرع ورخيص. إنه مخرج فوري من وضع غير مريح. كأمر واقع يوجد في الإنجيل قصة شهيرة تذكر أن يهودياً كان في يوم من الأيام شاهداً كيف أن عيسى عليه السلام أحيا رجلاً ميتاً. كان الرجل ميتاً لأربعة أيام وحينما وصل عيسى عليه السلام قال بكل بساطة "انهض" فقام الرجل وذهب بعيداً. رغم رؤية هذا المنظر فإن بعض اليهود الذين شاهدوا هذا الحدث قالوا غير مصدقين: "إنه الشيطان. الشيطان ساعده!" هذه القصة يعاد تمثيلها في الكنائس في كل أنحاء الدنيا والناس يكون ويزدرفون الدموع حري قائلين: (آه - لو كنت موجوداً هناك - ساعتها - لما كنت غيباً كاليهودي!) وبعد فإنه وللسخرية هؤلاء القوم أنفسهم يفعلون مثلما فعل اليهودي تماماً عندما نطلعهم في ثلاث دقائق على جزء يسير من القرآن وكلما يمكنهم قوله: "آه. لقد فعله الشيطان... الشيطان كتب ذلك الكتاب!" لأنهم قد حوصروا في ركن ضيق... ولم يكن لديهم إجابة مقبولة أخرى فإنهم يلجأون إلى أسرع وأرخص عذر ممكن.

مثال آخر لاستثمار مثل هذا الموقف الضعيف يمكننا ملاحظته في تفسير أهل مكة لمصدر رسالة

أن المصاب بها يكذب ثم يصدق كذبه بعد ذلك. هذا بالضبط ما كان يقوله ويدعيه غير المسلمين عن محمد صلى الله عليه وسلم ولكن المشكلة الوحيدة في هذا الاقتراح هي أن أي شخص مصاب بالميثومانيا لا يستطيع أن يتعامل مع الحقائق أيًا كانت ، والقرآن مؤسس وقائم كلية على الحقائق ، أي شيء جاء في القرآن يمكن بحثه وتأسيسه كحقيقة. ولما كانت الحقائق تشكل مشكلة مثل هذه للمصابين بالميثومانيا ، فعندما يحاول المحلل النفسي علاجهم فإنه وباستمرار يجابههم بالحقائق ، ولنضرب مثالاً لذلك: إذا كان أحد مصاباً بمرض عقلي ويدعى: "إنني ملك انجلترا" فإن المحلل النفساني لا يقول له: "كلا .. لست كذلك .. إنك مجنون" إنه لا يفعل ذلك أبداً. إنه يجابهه بحقائق ويقول: "حسناً إنك تقول بأنك ملك انجلترا ، إذن أخبرني أين توجد الملكة اليوم. وأين يوجد رئيس وزراءك ؟ بل وأين حراسك ؟" الآن حينما يجد الرجل نفسه في مشكلة لمحاولة الإجابة على مثل هذه الأسئلة ، فإنه يحاول إيجاد الأعذار قائلاً: "أه .. الملكة ذهبت إلى قصر والدتها إنه .. رئيس الوزراء ... إنه قد مات." وفي نهاية الأمر يشفى لأنه لا يستطيع التعامل مع الحقائق. أما إذا ظل المحلل النفساني في مواجهته بحقائق كافية فإنه في النهاية يواجه الحقيقة ويعترف قائلاً: "أعتقد أنني لست ملكاً لإنجلترا".

القرآن يتبع نفس المنهج مع كل من يقرأه بنفس الطريقة التي يتعامل بها المحلل النفساني مع مريضه المصاب بالميثومانيا وتوجد آية من آيات القرآن تبين:

يتزعمون أن الشيطان من المحتمل أن يستطيع فعل كل ما يفعله الله سبحانه وتعالى. ولكن في النهاية حينما ينظرون إلى القرآن ، بالرغم من اندهاشهم وحيرتهم التي يجدونها في أنفسهم كيف تكون الدهشة يصرون أن: "الشيطان فعل ذلك".

الحمد لله أن المسلمين لا يسلكون هذا السلوك. بالرغم من أن الشيطان يمتلك بعض المقدرات والإمكانات. إلا أنها بعيدة كل البعد عن مقدرات العلي القدير ومنفصلة عنها. ولا يعتبر المسلم مسلماً إذا لم يؤمن بذلك. من المعارف السائدة حتى بين غير المسلمين أن الشيطان من السهل أن يرتكب خطأ وأنه من المتوقع أن يناقض نفسه إذا كتب كتاباً أو حينما يكتب كتاباً والقرآن حقيقة يقول: " أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا " (١).

الرسول صلى الله عليه وسلم لا يغير في القرآن :-

بالإضافة إلى العذر الذي يدفع به غير المسلمين في محاولة عابثة لا جدوى منها مشغولة بتوافه الأشياء لتبرير ما لا يفقهونه من آيات القرآن الكريم ، بالإضافة إلى ذلك ، يوجد هجوم آخر يدفع به ويعلن دائماً يبدو انه خليط بين النظرتين أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان مجنوناً وكذاباً. هؤلاء النفر يقترحون أساساً أن محمداً كان مخبولاً وكنتيجة لوهمه وضلاله وخداعه كان يكذب على الناس ويقودهم إلى الضلال. هذه الحالة تسمى في علم النفس بالميثومانيا Mythomania وهي تعني ببساطة

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ". (١٠)

للتظرة الأولى تبدو هذه المقولة غامضة ، ولكن معنى هذه الآية واضح حينما ينظر إليها الفرد على ضوء المثال السابق ذكره. الإنسان يشفى أساساً من خداعه وتضليله عندما يقرأ القرآن. في الجوهر فالقرآن علاج نفسي. إنه حرفياً يعالج الناس الضالين عن طريق مواجهةهم بالحقائق. من السلوك السائد خلال القرآن سلوك يقول: "يا أيها الناس إنكم تقولون كذا وكذا عن هذا ؛ ولكن ماذا عن كذا وكذا ؟" وهكذا ، إنه يجبر الإنسان ليدرس ما هو مناسب وذي صلة بهم بينما في المقابل يعالج ويدوي الخداع والتضليل الذي جلبته للإنسان اعتذارات ونظريات مهلهلة بأن الله سبحانه وتعالى يمكن تصويره بهذه البساطة والسذاجة.

الكنيسة تتخبط في وصفها للقرآن :-

إن هذا النوع من الأشياء - مجابهة الناس بالحقائق - هو الذي لفت نظر أو انتباه كثير من غير المسلمين. في الحقيقة يوجد هناك مرجع عجيب مثير خاص بهذا الموضوع في دائرة المعارف الكاثوليكية New Catholic Encyclopedia في مقال تحت عنوان القرآن ، نشرت الكنيسة الكاثوليكية: "عبر القرون طرحت نظريات كثيرة حول أصل القرآن ... اليوم لا يوجد رجل عاقل يقبل أي واحدة من هذه النظريات ((اليوم نجد الكنيسة الكاثوليكية ذات العمر الطويل - التي وجدت من قرون طويلة تتكرر هذه المحاولات

التي لا طائل منها ، القرآن حقاً مشكلة للكنيسة الكاثوليكية. إنها تؤكد أنه تنزيل من الله ولذلك فهي تدرسه - وبالتأكيد فإنهم يحبون أن يجدوا دليلاً وبرهاناً إنه غير ذلك - غير منزل - ولكنهم لا يستطيعون ، إنهم فشلوا - ولم يستطيعوا وجود أي تفسير مقبول بين الناس يمكن تطبيقه وتدارسه إلا أنهم صادقون في بحوثهم ولا يقبلون الشروح الابتدائية - الأولية غير الموضوعية التي تبرز للناس وتقرض نفسها عبر المنطق والعقل. الكنيسة تقول إنها عبر القرون الأربعة عشر لم تجد تفسيراً يدركه العقل أو محسوساً بلمسة البشر - يقصدون القرآن طبعاً - إنها - أي الكنيسة - تعترف - جعلى الأقل - أن القرآن ليس موضوعاً سهلاً يمكن طرحه جانباً أو تجاهله - بالتأكيد هناك مسيحيون أقل نزاهة بكثير. مثل هؤلاء ، يقولون بتسرع: "القرآن جاء من هنا. القرآن جاء من هناك." ولكنهم لا يختبرون مصداقيته في كل ما يشيرون أغلب الوقت.

بالطبع فإن مثل هذا العرض من جانب الكنيسة الكاثوليكية يضع كل مسيحي في مشكلة ما. ربما يكون للفرد المسيحي فكرته أو تصوره عن أصل الإسلام ولكنه لا يستطيع أن يتصرف حسب تفكيره أو تصوره أو حتى نظريته. مثل هذا التصرف سيصبح عملاً مخالفًا ومجافياً لطاعة الكنيسة ومعارضاً لولائه وإخلاصه وطاعته لها. وكل هذه الصفات - الولاء - الطاعة - الإخلاص مطلوبة من جانب الكنيسة وهي الأهم عندها. وفقاً لعضوية الفرد للكنيسة فإنه يجب عليه طاعتها والقبول بكل ما تعلنه دون سؤال وتأييد تعاليمها كجزء من الروتين اليومي.

فإن كل الفرص قد استنزفت ، ولذا فإن الأمل في وجود فرصة أخرى لإقضاء القرآن غير موجودة البتة لأنه إذا لم يكن القرآن تنزيلاً من الله فهو إذن خدعه ؛ وإذا كان خديعة فيجب على الإنسان أن يسأل: "ما هو أصلها ؟ ... من أين جاءت ... وأين وكيف خدعنا القرآن ؟".

الإجابة على هذه التساؤلات إن كانت حقيقة وصادقة - تلقي الضوء على مصداقية القرآن. وتخرس وتسكت الإدعاءات المريبة غير الموضوعية من جانب الكفرة وغير المسلمين.

من الأكيد إذا كان الناس سيظلون يصرون على أن القرآن خدعة كاذبة ، إذن فعليهم أن يقدموا دليلاً شامداً وبرهاناً يدعم مثل هذا الإدعاء. فعبء برهان الإثبات يقع عليهم وليس علينا نحن. الإنسان ليس مفترضاً أن يقدم نظرية من غير حقائق كافية تثبت إدعاءاته ، لذلك فإنني أقول لهؤلاء الناس: "أروني أو بينوا لي خدعة واحدة ! وضحو لي أين يخدعني القرآن ! أظهروا لي - اطلعوني ... وإلا فلا تدعوا أن القرآن خدعة !".

كيف يكشف القرآن الظواهر الغريبة :-

من خواص القرآن الميزة له كيف يتعامل مع الظواهر المدهشة التي لا ترتبط بالماضي فقط ؟ بل ترتبط بالزمن الحاضر والحديث أيضاً. القرآن في جوهره ليس معضلة قديمة. وهو معضلة حتى اليوم - معضلة محيرة لغير المسلمين - بمعنى أوضح هو معضلة كل زمان: كل يوم - كل اسبوع. كل عام يطلع علينا بمزيد ومزيد من البراهين أن القرآن قوة يجب الاقتناع التام بها إنه بالاصح

إذا كانت الكنيسة الكاثوليكية تقول: "لا تستمعوا إلى تلك التقارير غير الموثقة عن القرآن" إذن ماذا يمكنها أن تقول عن وجهة النظر الإسلامية ؟ إذا كان حتى غير المسلمين يعترفون أنه توجد في القرآن بعض الأشياء التي يجب الاعتراف بها وتصديقها - إذن فلماذا كثرة العناد والمدافعة والمعاداة بينما يقدم ويقترح المسلمون النظرية نفسها ؟ هذا بالتأكيد شيء يجب أن يتأمله أصحاب العقول ... شيء يتفكر فيه ذوو الفهم والرأي.

منذ عهد قريب قام رجل (قس) يدعى هانز Hans - يعتبر في مقدمة المثقفين الأذكياء - قام هذا العبقري بدراسة للقرآن ثم أعطى رأيه فيما درس وفهم عن القرآن. هذا الرجل كان هنا قبل فترة قصيرة وكان محترماً ومقدراً إلى درجة عالية في الكنيسة الكاثوليكية. بعد الحرص والتدقيق الحذر سجل هانز دراسته للقرآن مبيناً أن: "الله سبحانه وتعالى قد خاطب البشرية عن طريق محمد". هذه أيضاً نتيجة توصل إليها مصدر غير مسلم - القيادي المثقف والمحترم جداً في الكنيسة الكاثوليكية شخصياً ! لا اعتقد أن البابا يوافق على ذلك ، ولكن لا بد أن أفكار رجل كهذا .. شهير معروف - ذو سمعة وشهرة واسعة وشخصية ذات وزن اجتماعي وشعبي - لا بد أن أفكاره تحمل وزناً في الدفاع عن وضع المسلمين. مثل هذا الرجل يجب التصفيق له والإشادة به لمواجهته المقولة أن القرآن ليس شيئاً يمكن بسهولة تركه جانباً ، وفي الحقيقة فإن الله سبحانه وتعالى هو مصدر هذا الكلام. كما هو بين ظاهر وواضح من المعلومات المذكورة سابقاً ،

معجزة أن مصداقية القرآن وصدقه لا يمكن تحديها ؛ على سبيل المثال آية واحدة في القرآن تنص:

"أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ" (١١).

من السخرية أن هذه المعلومات - الواردة في الآية السابقة من القرآن هي بذات نفسها ما تسبب في إعطاء جائزة نوبل لاثنتين من الكفرة عام ١٩٧٣م. القرآن يكشف أصل الكون - كيف بدأ بقطعة واحدة - والإنسانية تظل تحاول إثبات هذه الحقيقة الربانية المنزلة من الله سبحانه وتعالى حتى يومنا هذا. أضف إلى أن الحياة نشأت من الماء ليست بالأمر السهل لاقتناع الناس من أربعة عشر قرناً مضت. من المؤكد أنك لو وقفت في وسط الصحراء - قبل ١٤٠٠ سنة وأخبرت الناس " (كل هذا كما ترون - مشيراً إلى جسدك - كل هذا مخلوق أو مركب من الماء تقريباً) فإنه لن يصدقك أحد. برهان ذلك من المستحيل إثباته حتى تمت صناعة المجهر. كان من المفترض أن يصبروا حتى يكتشفوا أن الساييتوبلازم Cytoplasm مادة الخلية الأساسية تتكون بنسبة ٨٠٪ من الماء. رغم كل شيء ظهرت الحقيقة وجاء البرهان والدليل وصدق القرآن وثبت لاختبار الزمن.

بالرجوع إلى اختبار الزيف من الصدق المذكور آنفاً ، إنه من المدهش أن نلاحظ أنه أيضاً يرتبط بالماضي كما يرتبط بالحاضر سوياً. بعض هذه الأدلة تذكر وتبرهن العلم والقدرة الكلية لله سبحانه وتعالى ، بينما أدلة وبراهين أخرى تمتد

لنقف شاهداً على التحدي إلى يومنا هذا. إنما صرح به القرآن عن أبي لهب يعد مثلاً آخر على التحديات السابقة إنه يذكر أن الله سبحانه وتعالى - عالم الغيب - قد علم أن أبا لهب لن يغير طريقه ووسائله ولن يقبل الإسلام - بمعنى أنه لن يسلم. وهكذا فقد أملى الله سبحانه وتعالى أن أبا لهب سيحشره في نار جهنم إلى الأبد. مثل هذه السورة تبين حكمة الله سبحانه وتعالى الأزلية كما تهدد وتخوف كل الذين يسلكون سلوك أبي لهب.

ومثال مدهش آخر على نهج اختبار الزيف من الصدق ورد في القرآن الكريم هو الآية التي تحدد وتصف الصلة والعلاقة بين المسلمين واليهود. الآية تحرص على ألا تضيق مدى الصلة بين فرد وآخر من بين أفراد الديانتين ، ولكنها ربما تلخص العلاقة بين مجموعتين من البشر ككل. نخلص إلى أن القرآن يبين أن المسيحيين سيعاملون المسلمين على الدوام أحسن مما يعامل اليهود المسلمين حقيقة تأثير مثل هذه المقولة يمكن تبينه بعد الاعتبارات الدقيقة الحريصة للمعنى الحقيقي في الآية. إنه من الحقيقة أن كثيراً من النصارى كما أن كثيراً من اليهود قد أصبحوا مسلمين ، لكن بصورة كلية يمكن النظر إلى عموم اليهود كعدو لدود للإسلام.

المجتمع كان عدواً لدوداً شرساً للإسلام ، إضافة إلى أن قليلاً جداً من الناس كان يفهم بوضوح إعلان القرآن المفتوح للدعوة.

في الواقع كانت الفرصة سهلة لليهود ليثبتوا أو يبرهنوا أن القرآن زائف... وأنه ليس منزلاً من السماء كلما كان ينبغي عليهم فعله هو أن

عملية التخمين ؛ في هذه الحال سيكون صحيحاً ربع الوقت (مرة من كل أربع مرات). هو الآن له فرصة واحدة من أربع فرص. إنه يملك فرصة من أربع فرص لأنه الآن أمام ثلاث طرق لأن يخطئ وطريق واحد لأن يصيب. بمعنى أبسط يمكن أن يخطئ في الحالة الأولى ثم يخطئ في الحالة الثانية أو يمكن أن يخطئ في الحالة الأولى ثم يصيب في الحالة الثانية أو يمكن أن يصيب في الحالة الأولى ويخطئ في الثانية أو أن يصيب في الأولى وكذلك في الثانية.

بالطبع فالمرحلة الوحيدة التي يمكن له أن يكون مصيباً في كل تخميناته هي السيناريو الأخير حيث يصيب التخمين في الحالتين. إن مفردات تخميناته الصحيحة قد كثرت لأن عدد الحالات التي يخمن فيها قد زادت والمعادلة الحسابية التي تمثل هذا السيناريو تكون $\frac{1}{2} \times \frac{1}{2}$ بمعنى مرة من مرتين في الموقف الأول ضرب مرة من مرتين في الموقف الثاني.

على غرار هذا المثال ، إذا كان الفرد نفسه أمام ثلاثة مواضيع يخمن فيها فأذن تخمينه صحيحاً ثمن الوقت أي مرة كل ثماني مرات أو $\frac{1}{2} \times \frac{1}{2} \times \frac{1}{2}$ مرة أخرى فإن مفردات خياره في التخمين في كل الحالات قد قلت من فرص نجاحه إلى مرة واحدة من كل ثمان. يجب أن نفهم أنه كلما زاد عدد الحالات كلما نقصت فرص التخمين الصحيح ، لأن الظاهرتين تتناسبان عكسياً.

والآن إذا طبقنا هذا المثال على الحالات الموجودة في القرآن ، إذا سجل أحد قائمة بكل المواد التي سجل فيها القرآن إفادة صحيحة يكون من الواضح الجلي جداً إلى درجة قصوى إنهن

ينظمو أنفسهم ، وأن يعاملوا المسلمين برفق معاملة حسنة لسنوات قليلة ثم بعد ذلك يقولون: "ماذا يقول كتابكم المقدس عن أعز أصدقائكم في الدنيا ، اليهود أو النصارى ؟ انظروا ماذا فعلنا لكم أي نحن اليهود ؟" هذا كل ما كان يجب أن يفعلوه ليثبتوا عدم مصداقية القرآن ، ولكنهم لم يفعلوه طيلة أربعة عشر قرناً. غير أنه كالعادة دوماً مازال المرض قائماً ! وما زالت الفرصة سانحة !

القرآن وعلم الرياضيات :-

كل القضايا المبينة حتى الآن فيما يختص بالنزوايا التي يمكن للفرد أن يطرق منها القرآن قد أثبتت وبدون شك أنها موضوعية وفعالة في الطبيعة ، ولكن تبقى زاوية واحدة بين أخريات. هذه الزاوية غير ذاتية في موضوعيتها وقاعدتها هي الرياضيات. من المدهش حقاً مدى صدق ومصداقية القرآن إذا جمعنا كل ما يمكن الإشارة إليه كقائمة من التخمينات الجيدة. رياضياً - عن طريق علم الرياضيات - يمكن توضيحها وشرحها باستعمال أمثلة التنبؤ والتخمين - على سبيل المثال - إذا كان للإنسان خياران (أحدهما صحيح والآخر خاطئ) ويفض الإنسان عينيه ثم يجري خياره ، إذن لنصف الوقت (مرة من اثنتين) سيكون صحيحاً أساساً أمامه فرصة من اثنتين لأنه يمكن أن يتخذ الخيار الخاطئ أو يصيب الخيار الصحيح. أما إذا كان أمام الإنسان نفسه موقفان كما يلي: يمكن أن يكون مصيباً أو مخطئاً في الحالة الأولى ويمكن أن يكون مصيباً أو مخطئاً في الحالة الثانية ثم يفرض عينيه ويجري

الذكر يستحيل أن يترك بيته بحثاً عن الطعام. على كل حال ، في رواية (مسرحة) شكسبير هنري الرابع بعض الشخصيات تناقش النحل وتذكر أن النحل جنود ولهم ملك. معنى ذلك أن ما كان يعتقد الناس في زمن شكسبير أن النحل الذي يراه الإنسان مخلقاً هو من الذكور وأنهم يذهبون إلى المنزل ويستجيبون للملك. ذلك غير صحيح قط الحقيقة أنهم الإناث وأنهن يستجبن للملكة. وبعد فقد كلف البحث العلمي ٢٠٠ سنة لاكتشاف أن هذا هو الحال.

عليه إذا رجعنا إلى قائمة التخمينات الصحيحة فيما يختص بموضوع النحل، فإن القرآن أمامه ٥٠٪ إلى ٥٠٪ فرصة ليكون صحيحاً وكان الخيار واحداً من اثنين.

القرآن وعلم الفلك :-

بالإضافة إلى موضوع النحل ، يناقش القرآن أيضاً الشمس والطريقة التي تتحرك بها في الفضاء. يمكن للإنسان أن يخمن في الموضوع أيضاً - حينما تتحرك الشمس في الفضاء فهناك إذن خياران: يمكن أن تتحرك كما لو أن شخصاً قذفها ، أو أنها تتحرك من نفسها بقوة ذاتية توجد فيها. القرآن يعطينا الإجابة الثانية أي أن الشمس تتحرك نتيجة لدفعها الذاتي - من نفسها: "وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ" (١٢). لتفعل الشمس ذلك فالقرآن يصفها بأنها تسبح في الفضاء مستعملاً فعلاً مشتقاً من الكلمة سبح. كي تزود القارئ بمفهوم سهل وشامل ودقيق عن مضمون هذا الفعل العربي "سبح" نبين هذا المثال: إذا

لسن مجرد تخمين أعمى. بالتأكيد فإن المواد أو المواضيع التي ناقشها القرآن متعددة وكثيرة وعليه لم يكن كله مجرد مفردات لأحد الذين يجيدون التخمين ويحققون تخميناً محظوظاً فيهن جميعاً. مثل هذا الافتراض أن أحداً أصاب في كل التخمينات يصير صفرأ لو كان في القرآن مليون طريقة ليخطئ ، إلا أنه كان صحيحاً فيها كلها فذلك لا يعني أن أحداً كان يخمن. الأمثلة الثلاثة التالية للمواد التي حقق القرآن فيها جميعاً إفادات صحيحة وسليمة كلية تبين كيف أن القرآن يواصل هزيمة الأفراد والمفردات.

أمثلة للحقائق العلمية الأزلية في

القرآن :-

السورة رقم ١٦ من القرآن تذكر أن أنثى النحل

تغادر بيتها لتجمع الطعام:

"وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (١٢).

للإنسان أن يخمن قائلًا: "النحلة التي تراها طائرة فوقنا، ربما تكون ذكراً، أو ربما تكون أنثى. أعتقد أو أخمن أنها أنثى" من المؤكد أنه يملك فرصة من اثنتين أن يكون مصيباً إلا أن القرآن كان على حق - ولكن يظهر أن ذلك لم يكن ما يعتقد الناس زمن نزول القرآن. هل يمكنك أن تعرف الفرق بين النحلة الأنثى والنحلة الذكر ؟ حسناً إنه يصعب على الخبير في شئون النحل معرفة ذلك غير أنه تبين بعد الكشف أن النحلة

الأرض ودورانه غير أن ذكر القرآن لهذا الأمر يعد مدهشاً للغاية. مفهوم أن أسرة ما تتناول طعام الإفطار عند طلوع الشمس بينما أسرة أخرى تستشق نسيمات الليل المنعشة. هذا المفهوم يثير الدهشة والإعجاب حتى في الزمن الحديث أو الوقت الحاضر. من المؤكد أيضاً أنه لا يستطيع أحد أن يسافر أكثر من ثلاثين ميلاً في اليوم خاصة قبل أربعة عشر قرناً وبالتالي فإن الإنسان إذا أراد أن يسافر من الهند إلى المغرب أو مراكش فلا بد أن يقضي شهوراً ومن المحتمل أنه حينما يتناول طعام العشاء في مراكش يظن في نفسه أن أهله في الهند يتناولون طعام العشاء في نفس الوقت. هذا لأنه لا يستطيع معرفة أن عملية سفره قد قطع خلالها منطقة زمنية كاملة. ولما كانت تلك كلمات الله العزيز العليم فإن القرآن يدرك ويميز هذه الظاهرة كما يعبر عنها. في آية رائعة يبين القرآن أنه حينما يصل التاريخ أو آخره ويبلغ مداه وتقوم الساعة (القيامة) ويأتي يوم الحساب ، كل ذلك سيحدث في لمحة أو طرفة وان هذه اللمحة أو الطرفة ذاتها ستباغت بعض الناس أثناء النهار وبعضهم الآخر ستباغتهم في الليل. هذا يبين بوضوح أن الله سبحانه وتعالى بحكمته الأزلية السابقة وعلمه اللا محدود يعرف المناطق الزمنية ويعلم وجودها رغم أنها لم تكتشف ولم تعرف بل لم تكن موجودة منذ أربعة عشر قرناً مضت.

الحق يقال - هذه الظاهرة ليست شيئاً واضحاً جلياً لعين الإنسان أو نتيجة لخبراته وممارساته وهذه الحقيقية تكفي لإقامة الدليل والبرهان على مصداقية القرآن.

كان الرجل في الماء واستعملنا كلمة سبوح لنصف حركته في الماء يمكن أن يفهم أنه يعوم "يسبح" بإرادته وحركته الذاتية وليس كنتيجة لقوة مباشرة مسلطة عليه. إذن إذا استعملت هذه الكلمة فيما يختص بحركة الشمس في الفضاء فإنها لا تعني بحال من الأحوال أن الشمس تندفع دون سيطرة في الفضاء نتيجة لكونها قد قذفت (رميت) أو أي شيء من هذا القبيل. إنها تعني أن الشمس تدور في محور أثناء سفرها ، وهذا هو ما يصوره القرآن ويؤكد ولكن هل كان من السهل اكتشاف ذلك ؟ هل يستطيع أي رجل عادي أن يفسر لنا دوران الشمس ؟ إنما اكتشف أو صُنع الجهاز الذي جعل من الممكن أن تظهر صورة الشمس على سطح طاولة أو منضدة حتى يراها الإنسان دون أن يصاب بالعمى - إنما اكتشف هذا الجهاز حديثاً جداً ، ومن خلال هذه العملية فقط ، استطاع الإنسان اكتشاف ليس فقط وجود بقع على سطح الشمس ولكن أيضاً أن هذه البقع تدور مرة كل ٢٥ يوم. هذه العملية هي التي تسمى عملية دوران الشمس حول محورها وقد أثبت ذلك بصورة حاسمة لا جدال فيها انه تماماً كما قد صور القرآن قبل ١٤٠٠ سنة أن الشمس حقاً تدور أثناء سفرها في الفضاء.

وبالعودة مرة أخرى إلى موضوع التخمين الجيد فإن تصورات التخمين الصحيح عن جنس النحل وعن حركة الشمس يصيحان بنسبة ١ إلى

١٤

إذا نظرنا إلى الورا قبل أربعة عشر قرناً من الزمان فإن البشر في ذلك الزمان ربما لم يكونوا متفهمين كثيراً لمناطق الزمن على سطح

منه بد ، بعد دراسة القرآن وبحثه أن كل إنسان سيصل إلى نفس الحقائق. أضف إلى ذلك أننا جميعاً ندرك شيئاً بالتأكيد: لا يمكننا كلنا أن نصبح خبراء مختصين لنثبت أو نبرهن ما يؤكده القرآن. إيمان الفرد وعقيدته تنموان كلما يواصل اختبار وتأكيده الحقائق التي جاء بها القرآن. والإنسان من المفترض أيضاً أن يفعل ذلك طيلة حياته - أي يواصل البحث والاختبار. أرجو أن يوفق الله كل الناس إلى الاقتراب من الحق والحقيقة.

ملحق

مهندس باحث في جامعة تورنتو كان مولعاً بعلم النفس وقد قرا شيئاً منه - قدم بحثاً وكتب رسالة عن "كفاءة وفعالية النقاش الجماعي" أي الحوار في مجموعات من الطلاب أو المتحدثين. هدف هذا البحث كان لمعرفة إلى أي مدى ينجح الناس حينما يجتمعون للحديث في جماعات من اثنين ، ثلاثة ، عشرة .. الخ الرسم البياني لمكتشفات هذا المهندس العالم كان يعلو حيناً ويهبط حيناً آخر في بعض الأماكن ؛ ولكنها كانت تصل النقطة الأعلى عند المتغير المكون من اثنين. النتائج: الناس يحققون أعلى نسبة نجاح حينما يتحدثون في جماعات ثنائية. أي تتكون من اثنين اثنين ، طبعاً هذا الاكتشاف فاق كل توقعاته غير أنه كان نصيحة أزلية سجلها القرآن:-

"قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفَرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ" (١٤).

بالإضافة إلى ذلك فإن الجزء التاسع والثمانين

مما لا ريب فيه حقيقة ، يستطيع الإنسان أن يتعمق مع هذا المثال ، موضحاً قائمة أطول وأطول للتخمينات الممتازة ، ومن المؤكد أن الأفضليات ستزداد وتزداد ثم تكثر وتكثر مع كل زيادة في الموضوعات التي يمكن للإنسان أن يخمن فيها ولكن لا يستطيع أحد أن ينكر أن محمداً صلى الله عليه وسلم بالرغم من أنه لم يكن متعلماً أجاد التخمين بنجاح في الآلاف والآلاف المؤلفة من المواضيع دون أن يرتكب خطأ واحداً مما يجعل أي نظرية تدعي أنه قد ألف القرآن يجب دحضها وإبادة كلية حتى من أعداء الإسلام الأكثر عداء وشراسة وحقدًا وكرهية !

والقرآن بالتأكيد يتوقع كل هذه الأنواع التحديات. ومن غير شك إذا قال أحد الناس لآخر حين دخوله بلداً غريباً ، "أنا أعرف والدك. لقد سبق لي أن قابلته. ربما يشك الرجل من البلد الغريب في أمر الزائر قائلاً: "لقد وصلت الآن إلى هنا. خبرني كيف عرفت والدي". وكنيجة لذلك ربما يسأله هل أبي طويل أم قصير؟ ... أشقرفاتح اللون أم أسمر؟ إذا استمر الزائر في إجاباته على الأسئلة بدون خطأ بل أعطى الإجابات الصحيحة سيزول الشك عن الرجل ولن يبقى أمامه إلى أن يعترف قائلاً: "أتخيل أنك تعرف والدي. لا أدري كيف عرفته لكنني أخمن أنك تعرفه" الأمر والحال نفسه كما في القرآن ... القرآن يؤكد أنه أنزله الخالق الذي أوجد كل شيء ولذلك من حق أي إنسان أن يقول: "أقتعني ! إذا كان منزل هذا الكتاب قد أوجد الحياة بكل ما فيها ومن فيها على الأرض أو من السماوات ؛ فلا بد إذن أن يعلم من هذا - من ذاك ... وهكذا". ومما ليس

(هوامش)

- (١) سورة النور آية ٤٠.
- (٢) سورة سبأ آية ٢.
- (٣) سورة النساء - آية ٨٢.
- (٤) عمر بن الخطاب - الخليفة الثاني للرسول (صلى الله عليه وسلم).
- (٥) سورة المسد الآيات ١ - ٥.
- (٦) سورة القلم آية ٥١ و ٥٢.
- (٧) سورة الشعراء الآيات ٢١٠ - ٢١٢.
- (٨) سورة النحل الآية ٩٨.
- (٩) سورة النساء آية ٨٢.
- (١٠) سورة يونس آية ٥٧.
- (١١) سورة الأنبياء آية ٢٠.
- (١٢) سورة النحل الآيات ٦٨ و ٦٩.
- (١٣) سورة الأنبياء الآية ٢٢.
- (١٤) سورة سبأ الآية ٤٦.
- (١٥) سورة الفجر الآيات ٦ و ٧.
- (١٦) سورة العنكبوت الآيات ٥٠ و ٥١.

من القرآن يذكر مدينة معينة تحت اسم إرم ذات العماد أي إرم التي لها أعمدة:

" أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ" (١٥).

هذه المدينة لم تكن معروفة أو مشهورة في التاريخ القديم ، ولم تكن موجودة في إطار مدى ما اكتشفه المؤرخون أو انشغلوا واهتموا به. على كل طبعة ديسمبر ١٩٧٨م في مجلة الجغرافيا في الوطني National Geographic قدمت معلومات مثيرة ذكر فيها أنه في سنة ١٩٧٣م قد اكتشف عن طريق الحفريات مدينة سورية تعرف باسم مدينة إبلا Ebla. هذه المدينة أثبتت الكشوفات أنها كانت قائمة قبل ثلاثة وأربعين (٤٣) قرناً. ولكن هذا لم يكن الجزء الأكثر إثارة للدهشة. المنقبون والباحثون وجدوا في مكتبة مدينة إبلا سجلاً لكل المدن التي كانت إبلا تتاجر معها. صدق أو لا تصدق في تلك القائمة وجدوا اسم مدينة إرم. سكان مدينة إبلا تاجروا ببيعاً وشراء مع سكان مدينة إرم!

في خاتمة هذا الكتيب أرجو أن تتفكر بجديّة واهتمام ثم تعتبر بقوله تعالى:- " وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" (١٦).